

أثر السياق في تغيير دلالة الألفاظ

- سورة الكهف أنموذجاً -

أ.م.د. عقيد خالد حمودي العزاوي

كلية التربية / ابن رشد قسم علوم القرآن الكريم

ملخص البحث

إنَّ علم الدلالة له ارتباط وثيق بتوضيح دلالة السياق بأنواعه، ودراسته المعنى عند النحويين والبلاغيين، وجاء بحثنا بعنوان « أثر السياق في تغيير دلالة الألفاظ - سورة الكهف أنموذجاً » تناولنا فيه أثر دلالة السياق في كل لفظة من الألفاظ التي اخترناها في هذا البحث من الآيات التي وردت فيها في سورة الكهف أو في سور أخرى من القرآن الكريم، أو جاءت في سياق شعري أو نثري من كلام العرب، وقد تغيرت دلالة اللفظة في ذلك السياق ضمن التعبير القرآني أو غيره. ثم لبيان ماهية السياق على تغيير دلالة الألفاظ. سبب اختيار الموضوع:

وقد وقع اختيارنا على سورة الكهف لما فيها من ألفاظ وكلمات كان لها الأثر الواضح في تغيير دلالتها، وأثر ذلك التغيير في بيان جمالية سياق اللفظة وإثراء الدلالات بما احتوته من جمال كاشفاً عن بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِذَابًا لَّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ (سورة الكهف: ١٠٩).

المقدمة

الحمد لله لرب العالمين وأفضل الصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد:

إنَّ علم الدلالة له ارتباط وثيق بتوضيح دلالة السياق بأنواعه، ودراسته المعنى عند النحويين والبلاغيين، وقد علمنا أنَّ لكل لفظة أو كلمة معنى بحسب السياق التي هي فيه، وقد تخرج اللفظة في استعمال السياق عن أصل وضعها على سبيل المجاز، لكن ما الجديد في هذا العلم، في ظني المتواضع أنَّه في تناوله دراسة اللغة بكل مستوياتها: النحوية والصرفية والصوتية والدلالية ونقل لنا إبداع علماء الغرب في هذا العلم أمثال دي سوسير، مؤسس علم اللغة العام وبلومفيلد رائد البحث اللغوي الحديث في أمريكا، وفيرث مؤسس المدرسة الاجتماعية الإنجليزية، وستيفن أولمان وغيرهم، وكلُّ منهم لقد عرّف علم الدلالة أو (المعنى) لكنهم لم يخرجوا عن أصول هذا العلم عند علماء البلاغة العرب، ووجدتهم قد اختلفوا فيما بينهم في المصطلحات تبعاً لاختلاف تخصصاتهم العلمية، وميادين بحثهم، فكل منهم وضع مصطلحاً للمعنى على وفق منهاج البحث الذي يتبعه ويدرسه في تخصصاتهم العلمية المختلفة من علم النفس، واللغة،

والاجتماع، والأدب، والانثروبولوجي والمنطق. وهذا الاختلاف في المصطلح والفهم للمعنى يعد عقبة في وجه دارس هذا العلم، ولكن بفضل الله استطعنا أن نفهم هذا العلم فهماً جيداً من خلال الدراسة والبحث والتدريس وجاء بحثنا بعنوان « أثر السياق في تغيير دلالة الألفاظ - سورة الكهف أنموذجاً » تناولنا فيه أثر دلالة السياق في كل لفظة من الألفاظ التي اخترناها في هذا البحث من الآيات التي وردت فيها في سورة الكهف أو في سور أخرى من القرآن الكريم، أو جاءت في سياق شعري أو نثري من كلام العرب، وقد تغيرت دلالة اللفظة في ذلك السياق ضمن التعبير القرآني أو غيره. ثم لبيان ماهية السياق على تغيير دلالة الألفاظ. سبب اختيار الموضوع:

وقد وقع اختيارنا على سورة الكهف لما فيها من ألفاظ وكلمات كان لها الأثر الواضح في تغيير دلالتها، وأثر ذلك التغيير في بيان جمالية سياق اللفظة وإثراء الدلالات بما احتوته من جمال كاشفاً عن بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ (سورة الكهف: ١٠٩) .

إنَّ الكشف عن بعض كنوز القرآن الكريم من حيث بلاغة التراكيب وجماليات السياق وأثر الدلالة، تقع ضمن دراسات إعجاز القرآن الكريم، وقد اعتكف القدماء والمحدثون على تأمل النص القرآني، وكلما أفضى تأملهم إلى اشراقات لغوية أو بلاغية أيقنوا أنَّ تلك الاشراقات ما هي إلا ومضة من نور ربّاني يثير العقل ويأسر القلب وينير الكون.

وكل ما في القرآن يقتضي التأمل والتدبر، لاشتماله على أسرار لا تتأتى إلا لمن شرح الله صدره لها، وأطال التأمل والتدبر فيها، وأعمل فكره بالربط والتحليل والاستنتاج، وما وقف عليه القدماء والمحدثون ليس نهاية المطاف؛ إذ إنَّ إعادة النظر في بعض الآراء والتوجيهات في أسرار لغة وبلاغة القرآن، قد تعدُّ فتحاً جديداً.

من هنا جاءت أهمية هذا البحث موضعاً بعض جماليات تغير دلالة الألفاظ وأثر السياق فيها.

- أسئلة البحث :

يسعى البحث للإجابة عن التساؤل الآتي:

إقامة علاقة بين السياق ودلالة الكلمة المفردة، والتي تكتسب قيمتها الدلالية والبلاغية حينما تستخدم في سياقها المناسب، بغية الوصول للبيئة العميقة للخطاب القرآني.

- هدف البحث :

بيان وتوضيح دلالة اللفظ القرآني وأثر السياق فيه، ورصد بلاغة التراكيب القرآنية، التي تختلف فيها لفظة واحدة وتحليل اختلافها من موضع إلى آخر وفق مقتضيات السياق.

- منهج البحث :

سار البحث على المنهج الوصفي في الجانب التراثي في ذكر المادة العلمية المختارة ثم أضحى منهجاً تحليلياً في دراسته للألفاظ المختارة من سورة الكهف، وبيان دلالتها السياقية، وأثر ذلك في جمالية النص القرآني المعجز.

- الدراسات السابقة :

وقف البحث على ما تيسر من مصادر ومراجع ذات صلة بالسياق والدلالة أفاد منها في دراسته ومعالجته وتطبيقاته؛ إذ وقف على مصادر قديمة منها معاني القرآن للفراء وإعراب القرآن للنحاس، والإتقان للسيوطي، وكتب حديثة مثل دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس وعلم الدلالة لفريد عوض وغيرها من الكتب التي أفاد منها البحث.

- الإطار العام للبحث :

أما عملي في البحث الذي استقرَّ عنوانه « أثر السياق في تغيير دلالة الألفاظ - سورة الكهف إنموذجاً » يتكون من مقدمة وفصل واحد تناولنا في المقدمة أسئلة البحث، وهدف البحث، ومنهجية البحث، وأبرز الدراسات السابقة. أما الفصل الأول والذي كان عنوانه الدراسة التطبيقية لدلالة الألفاظ فقد جاء بخمسة مباحث.

جاء المبحث الأول: دلالة لفظة (عبد) في السورة.

والثاني: دلالة لفظة (كتاب) في السورة وفي القرآن الكريم.

والثالث: دلالة لفظة (عوج).

والرابع: دلالة لفظة (الرقيم).

والخامس: دلالة لفظة (فتية) في السورة.

ثم الخاتمة وأهم النتائج التي وصل إليها البحث ثم فهرس بأسماء المصادر والمراجع التي اعتمدها البحث .

الفصل الأول

الدراسة التطبيقية لدلالة الألفاظ

المبحث الأول

دلالة لفظة « عبد » في السورة

وبعد تقليب النظر في مفردات سورة الكهف ومن قبلها في كتاب الله تعالى بشكل عام وجدت أن الله تعالى قد وصف نبيّه الكريم محمد ﷺ بالعبد ولم يصفه بالنبيّ أو الرسول في قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ آية « ١ » ؛ لأنه « صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله » لم يكن نبيّاً ولا رسولاً قبل نزول الكتاب بل كان عبداً من عباده الذين اصطفاهم لحمل الرسالة وأعباء تبليغها إلى البشرية جمعاء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ وليس للعرب وحدهم، فوصفه بلفظة « عبد » التي هي نكرة ثم عرّفها فأضافها إلى الضمير المتصل « الهاء » الذي يعود على ذاته العليّة - سبحانه - فزاد الموصوف بها شرفاً، وجعل هذه الإضافة دليلاً على حُبّه له ﷺ ؛ فوصفه بهذا الوصف، لأنه لم يكن عبداً من العباد بل كان عبداً نزيهاً عن العبادة لصنم أو طاغوت من طاغوت الأرض - سواء أكان حاكماً أو مالاً أو امرأة أو غيرها من طاغوت الأرض - التي كانت تعبد في زمانه فاعتزل قومه وكان يذهب إلى غار « حراء » يتعبد ويتفكر في خلق هذا الكون، وفي من خلقه، وكانت قريشاً - قبيلته - والعرب تُحبه وتُحله وتُوقّره، كيف لا، وهو الصادق الأمين في تعامله مع الناس أجمعين، القريب منهم والبعيد، والكبير والصغير، والسيد والعبد، فكان حليماً على من أساء إليه، رؤوفاً بالجيران والأصدقاء والأقارب يصل من قطعه ويرحم من ظلمه، مبتسماً ومهذباً ترتعد فرائص المجرمين، وتوجل منه قلوب المتكبرين عند لقائه، لذلك وجدت من علماء التفسير واللغة^(١) من يعد جملة ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ الحالية هي وصفاً لصاحب الحال - عبد - وليس - الكتاب - ، وأتى رب العزة سبحانه عليه ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)، وحرف الجر عندما يدخل عليه حرف الجر لم يعد حرفاً للجر بل هو اسماً فهو ليس صاحب خلق عظيم هو فوق الأخلاق، لأن أخلاقه واقعية. وبعد كل ذلك فلفظة «عبد» كان المقصود بها في هذه الآية محمداً ﷺ .

ووردت لفظة «عبد» في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ آية « ٦٥ » تحمل دلالة أخرى حدّدها سياق الآية الذي أعطى لكلمة « عبد » أوصافاً وقرائن لفظية فكان يعني الله تعالى بها الرجل الصالح - الخضر - ﷺ فوصفه بشبه الجملة ﴿مِّنْ عِبَادِنَا﴾ و « مِّنْ » جنسية أفادت استغراق الجنس كله - وهم عباد الله -

فأضاف « عبد » إلى ضمير المتكلم « نا » الذي يعود على لفظة الجلالة الله تعالى، وهذا تشريف وثناء من الله ﷻ على عبده « الخضر » ﷺ لكن ليس كالتشريف الذي حظي به سيدنا محمد « صلى الله تعالى عليه وآله وسلم » عندما أضاف سبحانه لفظة « عبد » إلى الضمير الذي يعود عليه سبحانه مباشرة، ثم وصف سبحانه « الخضر » ﷺ بوصف يبيّن فيه مكانته بين أهل الأرض قاطبة في مجال العلم الذي وهبه الله تعالى له والذي يسميه علماؤنا العلم « اللّدين » فهو إلهام من الله تعالى أي: ليس مكتسباً كالعلوم التي تُعَلَّم في المعاهد والجامعات وحلقات العلم عند الشيوخ الأفاضل، وهذا النوع من العلم يختص الله تعالى به قليلاً من عباده المخلصين الموحدين الصابرين ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٣)، وسيدنا « الخضر » ﷺ فاق بعلمه هذا علم الأنبياء والمرسلين في عصره ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾^(٤) فأجابه « الخضر » ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^(٥) إنه - موسى - رسول الله لا يستطيع الصبر على تعلم مثل هذا العلم. فمن كل ذلك فهنا أن لفظة « عبد » في الآية الثانية معناها ودلالاتها تختلف عن لفظة « عبد » في الآية الأولى. ومن خلال الشرح والتفسير لكل لفظة من كل آية من الآيتين اتضح تداخل الدلالة السياقية بالدلالة النحوية وكيف لها الأثر في توضيح دلالة الكلمة في السياق؛ وكل أنواع الدلالات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والسياقية « تقع في خانة التحليل واللغوي وكل الظروف المحيطة بالمنطوق »^(٦) لها أثر في تحديد معنى الكلمة أو الكلام في السياق العام للتعبير. والدلالة النحوية التي تعنى بترتيب الجملة فإذا ما حصل تغيير في ترتيبها ونظامها فسوف يحصل خلل في المعنى وهذا ما أكده الدكتور إبراهيم أنيس بقوله: « يحتم نظام الجملة العربية أو هندستها ترتيباً خاصاً لو اختلَّ أصبح من العسير أن يفهم المراد منه »^(٧)؛ لذلك القرآن الكريم معجز بنظمه وطريقة ترتيب الآية لو تغير ترتيبها لتغيرت المعاني التي تؤديها تلك الألفاظ؛ لذلك وضع عبد القاهر الجرجاني نظرية أسلوب ترتيب الكلام في القرآن العظيم سمّاها نظرية « النظم ». لكن تجد لفظة « عبد » في السياقين القرآنيين المذكورين لم تفقد اللفظة معناها الأصلي بل بقيت تحتفظ به فهي تدل على الخضوع والذل والطاعة والانقياد التام لمملوكه وسيدته^(٨) وهو الله تعالى في الموضوعين.

المبحث الثاني

« دلالة لفظة « كتاب » في السورة وفي الكتاب الكريم »

وكلمة « كتاب » مصدر للفعل كَتَبَ يَكْتُبُ من الباب الأول - نَصَرَ يَنْصُرُ - وقيل الكتاب هو اسم آلة ومعناه لغة: الفَرَضُ والحُكْمُ والقَدْرُ^(٩). وجاء « الكتاب » بمعنى القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿الْحَدُّ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قِيَمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ آية « ١ - ٢ » والجملة الفعلية « وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا » حالية وصاحب الحال «الكتاب» وهو الرأي الراجح عند أهل العلم من المفسرين والنحويين^(١٠)، و « قِيَمًا » هي حال ثانية للكتاب وفي الكلام تقديم وتأخير أي: « الذي أنزل على عبده الكتاب قِيَمًا ولم يجعل له عِوَجًا »^(١١). وفي قوله تعالى: ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَىٰ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ آية « ٤٩ ».

جاءت كلمة « الكتاب » دالة على صحيفة أعمال الإنسان سواء أكان مؤمناً أو كافراً، تُحصى فيها أعماله صغيرها وكبيرها^(١٢) من صفة هذا الكتاب أنه ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ وأعدّها ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾^(١٣) أي: كتاب أعماله وذكر المفسرون^(١٤) ثلاثة أقوال في « الكتاب »:

الأول: أنه لكل إنسان كتاب فيه أعماله بدليل قوله تعالى: ﴿أَفْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^(١٥) أي: محاسباً.

الثاني: أنه صحيفة كما قال مجاهد: « ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد »^(١٦). وقال الإمام الغزالي: « قد يكون الكتاب هو صفحة واحدة تجمع فيها أعمال الإنسان سواء أكان مؤمناً أم كافراً »^(١٧) وهذه الصحيفة يأخذها الإنسان المؤمن بيمينه يوم تتطير الصحف للكافر يأخذها بشماله ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾^(١٨) فهذا حال المؤمن. وأمّا الكافر فيأخذ كتابه بشماله ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهٖ ۖ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهٖ﴾^(١٩).

الثالث: قد يكون « الكتاب » فيه أعمال الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم، أو لكل فريق كتاب لأن كتاب المؤمنين في عليين ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُّونَ ۖ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۖ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٢٠) وأمّا كتاب المجرمين والكافرين في سجين ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾^(٢١).

ووردت لفظة « الكتاب » بمعنى « التوراة »^(٢٢) نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٢٣) و ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾^(٢٤) وجاءت بمعنى « الإنجيل

« كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾^(٢٥) وقد يراد به التوراة والإنجيل^(٢٦). والله أعلم.

وقد جاءت لفظة « الكتاب » بمعنى: اللوح المحفوظ^(٢٧) منذ الأزل إلى ما شاء الله تعالى نحو قوله تعالى ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٢٨) روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لولا هذه الآية لقلنا كل شيء ثابت لا يتغير.

ووردت في قوله تعالى ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾^(٢٩) دلالة « الكتاب » بمعنى « وقت » أو « مدة »^(٣٠) مكتوب فيه تحديده لا يتقدم ساعة ولا يتأخر.

ودلت كلمة « الكتاب » على معنى التوراة والإنجيل معاً^(٣١) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٣٢).

وجاءت كلمة « الكتاب » بمعنى الخط والكتابة كما في قوله سبحانه: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^(٣٣) والضمير « الهاء » يعود على نبي الله عيسى بن مريم الذي علمه الله تعالى الكتابة وهو في المهد صبي - ما شاء الله - ما هذا التكريم الإلهي لعبده عيسى عليه السلام^(٣٤).

وتأتي كلمة « الكتاب » بصيغة جمع التفسير الدال على الكثرة على « فَعْلٌ » « كُتِبَ » وتشمل كل الكتب السماوية التي نزلت قبل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿أَمَنْ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾^(٣٥) والكتب التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم هي: « الزبور، التوراة، الإنجيل والقرآن » وهناك صحف أنزلها الله تعالى على رسله^(٣٦) ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾^(٣٧).

وجاءت خارج الكتاب الكريم في كلامنا اليومي نحو: « هل قرأت كتاباً في الدين ». وتأتي لفظة « الكتاب » يُعنى بها كتاب سيبويه (ت ١٨٠هـ) الذي لم يعثر على عنوان للكتاب في مخطوطة الكتاب فسمي « الكتاب » وهو أول كتاب وصل إلينا في علوم اللغة من نحو وصرف وصوت، نحو قولنا: « قرأت في الكتاب مسألة مخارج الصوت » فأعني به كتاب سيبويه.

المبحث الثالث

دلالة لفظة « عَوْج »

العَوْج: هو الانحراف والميل في الشيء ولها دالتان:

الأولى: دلالة أصلية في وضع اللغة وهي: العوج الحسي الذي يدرك بالبصر، كالانحراف والميل الذي يحصل في السيف والقوس والعود والحائط، نحو قولك: « الحائطُ فيه عَوْجٌ » وجاءت الدلالة الحسية في قوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾^(٣٨) أي: لا انخفاضاً فيها ولا ارتفاعاً ويعني بـ « عَوْجاً » الانخفاض^(٣٩).

والثانية: الدلالة المعنوية وتعني بها الانحراف في الدين والمبادئ والسلوك والقول، وذلك على سبيل المجاز؛ لأن المجاز: هو استعمال اللفظ أو الكلمة لغير ما وضع له^(٤٠) في أصل اللغة، وأول من نحا به هذا النحو - بحسب علمنا - أبو عبيد معمر بن مثنى «ت ٢٠٩ هـ» في كتابه « المجاز في غريب القرآن » وتوسع في المجاز واستعمله في معان متعددة تنتمي إلى علوم العربية كالنحو والصرف والصوت والدلالة والبلاغة. ويُسْتَعْمَلُ المجاز من أهل اللغة لأغراض ثلاثة هي: التوسع من أهل اللغة في لغتهم، والتوكيد والتشبيه؛ لذلك يُعَدُّ إلى المجاز عن الحقيقة^(٤١)، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ وقيل إنَّ الجملة الفعلية في محل نصب حال لـ (الكتاب) أو لـ (عبده). واستعمال لفظة « العَوْج » في الوصف المعنوي حيث نفى الله تعالى وجود العوج في القرآن الكريم لا في قوله كلغة ولا في أحكامه وتشريعاته وقوانينه التي سنَّها للبشرية ولا في رواية القصص عن الأمم وأحوالهم ومواقفهم - ليس فيها كَذِبٌ أو تحريف - ولا في ما وَعَدَ به أن يحصل في المستقبل القريب في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا فيما بعده وإلى يوم القيامة وكلُّ ذلك حصل، كيف لا، وهو عالم الغيب والشهادة تبارك وتعالى. وفي جانب التشبيه حيث شبه العَوْج المعنوي الذي لا يدرك إلا بالعقل والبصيرة بالعَوْج الحسي الذي يقع في الأشياء المادية المحسوسة التي يقع عليها البصر. وفي هذا الاستعمال توسع في اللغة حيث أجاز استعمالها في الدلالة المعنوية كما استعملها في الدلالة الحسية على الأصل.

والغرض الثالث من استعمال المجاز في هذه الآية هو التوكيد في قوله ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيَمًا﴾ فإن نفي العوج معناه إثبات الاستقامة، وإنما جنح إلى التكرير - لأنَّ في الكلام تقديم وتأخير - لفائدة منقطعة النظر، وهي التأكيد والبيان، فربَّ مستقيم مشهود له بالاستقامة، مجمع على استقامته ومع ذلك فإنَّ الفاحص المدقق قد يجد له أدنى عَوْج، فلما أثبت له الاستقامة أزال شبهة بقاء ذلك الأدنى الذي يدق على النظرة السطحية الأولى^(٤٢). وفي هذه الآية

مطابقة فقد طابق سبحانه بين العوج والاستقامة. فترى أنّ الذي فرق في معنى لفظة «عوج» في دلالتها الحسية والمعنوية هو السياق القرآني الذي ورد في آية سورة الكهف وآية سورة طه. وقيل إنّ الذي يفرق بين معنى الدالتين الحسية والمعنوية هو حركة عين الكلمة فالتى تحمل دلالة حسية تكون مفتوحة العين، وأمّا التي تحمل دلالة معنوية فتكون مكسورة العين «عوج». لكنّها جاءت مفتوحة العين في القرآن الكريم في دلالتها الحسية في سورة طه وفي حالة دلالتها المعنوية من آية سورة الكهف وشاهد القرآن خير شاهد في اللغة وأقواها وأصحها^(٤٣).

المبحث الرابع

دلالة لفظة « الرقيم »

الرقيم: على وزن « فعيل » من الفعل (رَقِمَ يَرَقِمُ) من الباب الأول - فتح ضم - بمعنى مفعول على (فعيل) أو بمعنى فاعل ومصدره « الرَّقْمُ » بمعنى الكتابة^(٤٤)، نحو قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾^(٤٥) أي: كتاب الكفار مختوم^(٤٦) - عليه كتابة تميزه عن غيره من الكتب، أو وُضِعَ عليه رمز معين مكتوب على غلاف الكتاب كما في الدنيا -.

وقد يأتي « الرقيم » بمعنى « الكتاب » كما في قوله تعالى: ﴿ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ﴾^(٤٧) قد اختلف المفسرون واللغويون^(٤٨) في تفسير (الرقيم) فذكروا لها دلالات تربو على ستة معاني لا يميز بينها إلا السياق ومنها:

١. بمعنى « الكتاب »: وهو لوح رصاص أو ذهب أو حجر رُقِمَ فيه أسماؤهم وأنسابهم وعملهم ودينهم وقصتهم، وجعل الكتاب في تابوت من نحاس ودفن في باب الكهف أو الغار، وقيل: غُلِّقَ على باب الكهف والذي قام بهذا العمل رجلان مؤمنان يعملان في بيت الملك: أحدهما: يقال له « يندروس » والآخر: يقال له: « روناس »^(٤٩). وذهب ابن عباس - رضي الله عنهما - في أحد قولييه: « أنّه كتاب كان عندهم فيه الشرح الذي تمسكوا به من دين المسيح عليه السلام »^(٥٠). وفي القول الثاني له أنه بنيان ف « أنه لا يدري ما الرقيم أكتاب أم بنيان »^(٥١).

٢. وقد يأتي « الرقيم » بمعنى « الكلب »، نحو قول أمية بن أبي الصلت:

وليس بها إلا الرقيم مجاوراً وصيدهم والقوم في الكهف همد

أي: إلا كلبهم. وعن صاحب بن عباد أنه سمع أثناء طوافه على قبائل العرب: امرأة تسأل عن المتاع فأجابها ولدها الصغير: «الرقم أخذ المتاع»^(٥٢) ويعني به الكلب^(٥٣).
وقيل: إن الرقيم اسم الجبل أو اسم القرية - التي كان فيها أصحاب الكهف - أو اسم أمير بلدتهم، أو اسم الوادي الذي فوقه الجبل الذي يسكنون في كهفه^(٥٤).

المبحث الخامس

دلالة لفظة «فتية»

فتية جمع فتى، أو هم اسم جمع وليس بجمع، ووردت في سورة الكهف بصيغة المفرد، والجمع، لكن دلالتها مختلفتان والذي فرّق بينهما هو السياق الدلالي والقرائن اللفظية التي وردت في التعبير القرآني.

وجاءت في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(٥٥) فوردت «فتية» بصيغة جمع القلة - أي: أقل من العشرة - واستعمل القرآن هذه الصيغة؛ لأنهم أقل من العشرة فهم سبعة وثامنهم كلبهم أرجح أقوال الصحابة - ومنهم ابن عباس - والمفسرين وما رجح ذلك قول الله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٥٦) قال ابن عباس - رضي الله عنهما - أنا من هؤلاء القليل^(٥٧). لذلك قال الله تعالى (فتية) ولم يقل (فتيان) جمع كثر الذي يستعمل لأكثر من العشرة. وهؤلاء الشباب المؤمنون الذي وصفهم بالفتوة التي تعني القوة والكرم والشجاعة والثبات والجرأة والإقدام والعنفوان والصمود والتحدي والتضحية، وهم قد تركوا المال والولد والزوجة والجاه والسلطان في سبيل إعلاء كلمة الحق والصدق «لا إله إلا الله»، وليأسسوا بانيان قواعد الوجدانية والعبودية لله تعالى وحده فثبتهم الله تعالى: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ بالتثبيت على إيمانهم والتوفيق للعمل الصالح، والانقطاع إلى الله تعالى والزهد في الدنيا^(٥٨) ونعمة أخرى من الله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ «قويناها بالصبر فلم تزحزحها عواصف فراق الأوطان وترك الأهل والنعم والأخوان، ولم يزعجها الخوف من ملكهم الجبار ولم يُرعبها كثرة الكفار»^(٥٩). ويمثلهم من الشباب قامت دعوة الإسلام كأمثال: علي بن أبي طالب - رضي الله عنه وأرضاه - والمسلمون قالوا بحقه «لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار»، وعمّار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وبلال الحبشي وصهيب الرومي وعبد الله بن عباس وغيرهم من شباب الصحابة - رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم - وجاء كلمة «فتية» بصيغة المفرد «فتى» في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾^(٦٠) والفتى دل على معنى غلامه أو خادمه ﴿قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاةً﴾^(٦١) واسمه «يوشع بن نون» كان يتبعه ويخدمه ويأخذ عنه العلم^(٦٢).

فانظر كيف اختلف معنى « الفتى » من سياق تعبيرى قرآنى لآخر ففي السياق الأول دلت على معنى القوة، والعزة، والتحدى، والمنعة وفي السياق الثانى دلت على معنى الخدمة وطلب العلم.

ووردت في سورة يوسف بصيغة جمع الكثرة «فتيان» في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾^(٦٣) واستعمل القرآن الكريم صيغة « فِغْلَان » جمع تكسير تدل على الكثرة؛ لأنَّ غلمانَه^(٦٤) الذين يعملون بإمرته مقابل أجرٍ لإدارة شؤون البلاد في الجانب الاقتصادي هم كثر فاستعمل القرآن صيغة الكثرة ومع القلة، وهم فتية أصحاب الكهف استعمل معهم صيغة (فِغْلَه) جمع قلة. وانظر كيف فرق السياق بين الفتى الخادم الذي يخدم ويعمل من أجل طلب العلم والتفقه في الدين وبين الخادم الذي يعمل من أجل طلب العيش والرزق. سبحان الله العظيم ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ لأنَّ العاقل يعرف من لسانه.

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث حتى وصلت إلى غايته ونهايته وكان أبرز النتائج هي:

١. يساعد السياق في تحديد معنى اللفظ الوارد فيه، وهو بالتالي يوضح معنى الكلمة.
٢. إنَّ السياق لا يقتصر على دلالة الكلمة المفردة الواحدة بل يجاوزها إلى تركيب الكلام، وما يتصل به من عناصر الحال، والزمان والمكان والمتكلم والمخاطب.
٣. توصل البحث أنَّ هناك صلة وثيقة بين البحث البلاغى والدلالي وعلاقتهما بالسياق وقيمتيه عند أهل اللغة والمفسرين.
٤. إنَّ دلالة معاني الألفاظ القرآنية ودلالاتها في سورة الكهف تغيرت بحسب مجيئها في السياق وكانت لكل لفظة دلالتها الخاصة بها. وأثر ذلك في جمالية النص.

وآخر دعوانا

أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش والمصادر:

١. ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢/٢٦٥، ومعاني القرآن للفراء: ٢/١٣٣، روح المعاني للشيخ محمود الألوسي: ١٥/٢٩٢، وروح البيان للشيخ إسماعيل البروسوي: ٥/٢١٧.
٢. سورة القلم / ٤.
٣. سورة البقرة / ١٠٥.
٤. سورة الكهف / ٦٦.
٥. سورة الكهف / ٦٧.
٦. علم الدلالة للدكتور فريد عوض / ٥٨.
٧. دلالة الألفاظ / ٤٨.
٨. ينظر: مختار الصحاح لأبي بكر الرازي / ٤٠٨.
٩. مختار الصحاح: ٥٦٢.
١٠. ينظر: روح المعاني: ١٥/٢٨٩ و ٢٩٠، وإعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين الدرويش: م٤/٣٥، وبيلاغة القرآن الكريم في الإعجاز: م٦/٦.
١١. ينظر: الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي: ٣/٥.
١٢. ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحيي الدين الدرويش: م٤/٥٠٩.
١٣. سورة الإسراء / ١٣.
١٤. ينظر: روح المعاني لأبي ثناء الألوسي: ١٥/٤١٩.
١٥. سورة الإسراء / ١٤.
١٦. تفسير الجلالين / ٢٨٤.
١٧. روح المعاني: ١٥/٤١٩.
١٨. سورة الانشقاق / ٧.
١٩. سورة الحاقة / ٢٥ - ٢٦.
٢٠. سورة المطففين / ١٩ - ٢١.
٢١. سورة المطففين / ٩.
٢٢. تفسير الجلالين: ٣٠٦ ، ٨.
٢٣. سورة البقرة / ٥٣.
٢٤. سورة مريم / ١٢.
٢٥. سورة البقرة / ١٢١.
٢٦. تفسير الجلالين / ١٩.
٢٧. المصدر نفسه / ٢٥٤.
٢٨. سورة الرعد / ٣٩.
٢٩. سورة الرعد / ٣٨.
٣٠. تفسير الجلالين : ٢٥٤.

٣١. تفسير الجلالين / ٢٥٥.
٣٢. سورة الرعد / ٤٣.
٣٣. سورة آل عمران / ٤٨.
٣٤. ينظر: تفسير الجلالين / ٥٦.
٣٥. سورة البقرة / ٢٨٥.
٣٦. عشر صحف أنزلت على إبراهيم، وصحف موسى هي التوراة.
٣٧. سورة الأعلى / ١٨ - ١٩.
٣٨. سورة طه / ١٠٧.
٣٩. تفسير الجلالين / ٣١٩.
٤٠. المولد دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الكلام للدكتور حلمي خليل: ١١٦ - ١١٨.
٤١. ينظر: علم الدلالة دراسة نظرية تطبيقية / ٦٣ - ٦٤.
٤٢. إعراب القرآن الكريم وبيانه / ٤٣٨.
٤٣. ينظر: روح المعاني: ٢٨٩/١٥ - ٢٩٠، وإعراب القرآن الكريم وبيانه: م ٤٣٣/٤ - ٤٣٤.
٤٤. مختار الصحاح / ٢٥٣.
٤٥. سورة المطففين / ٢٠.
٤٦. تفسير الجلالين / ٥٨٨.
٤٧. سورة الكهف / ٩.
٤٨. روح البيان للبروسوي: ٢٢٠/٥.
٤٩. روح البيان: ٢٢٠/٥.
٥٠. البحر المحيط لأبي حيان: ١٤٢/٧.
٥١. البحر المحيط: ١٤٢/٧.
٥٢. ما يبيل بالماء فيمسح به.
٥٣. روح المعاني: ٣٠٣/١٥، والبحر المحيط: ١٤٢/٧.
٥٤. روح المعاني: ٣٠٣/١٥.
٥٥. سورة الكهف / ١٣.
٥٦. سورة الكهف / ٢٢.
٥٧. روح المعاني، ٣٤٩/١٥.
٥٨. روح المعاني، ٣١٥/١٥.
٥٩. المصدر نفسه.
٦٠. سورة الكهف / ٦٠.
٦١. سورة الكهف / ٦٢.
٦٢. تفسير الجلالين / ٣٠٠.
٦٣. سورة يوسف / ٦٢.
٦٤. تفسير الجلالين / ٢٤٢.

The Context and its Influence to change the Meaning of Utterances in Al kahaf

Abstract

The present paper sheds light on the context and its influence to change the meaning of utterances in Glorious Quran. It further shows how Semantics has a strong relation with the context and its types. The paper studies the grammatical, phonological and morphological aspects of utterances in alKahaf chapter and how these effect the meaning